

الفتاة الريفية بالمخصومة الصعوبات والتحديات



مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث

تقرير حول

الفتاة الريفية بالمهضومة الصعوبات والتحديات

جويلية 2013

الفتاة الريفية بالمخضومة الصعوبات والتحديات

© CAWTAR 2014

جميع الحقوق محفوظة
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث -كوثر
ISBN : 978 9973 837 59 2

جويلية 2014

قرافيك
SMILE

طبع في تونس
Tunis Carthage

مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر

العنوان : ص.ب.105 حي الخضراء - تونس

الجمهورية التونسية

الهاتف : + 216 71 790 511

الفاكس : + 216 71 780 002

www.cawtar.org

cawtar@cawtar.org

فريق العمل

في إطار مشروعه
«ادماج النوع الاجتماعي ودعم منظمات المجتمع المدني
للعب دور فَعَّال في التَّحول الديمقراطي»
دعم مركز المرأة العربية «كوثر»
الجمعية التونسية لمكافحة الفقر لإنجاز هذه الدراسة.

زينب بشاينية

اعداد

مريم الجربي

متابعة

سليمى مجلدي

المراجعة والتدقيق

مقدمة

تعتبر ظاهرة الفقر من أهم المعضلات التي واجهتها المجتمعات البشرية ولد تزال، ولا تقتصر على الدول النامية فقط بل تتعداها إلى الدول المتقدمة، وهي المحرك الأساسي للثورات والتحولت الاجتماعية الكبرى.

ورغم كل الأدبيات التي تناولت هذا المفهوم بالتحليل، إلا أننا لا تزال نفتقر إلى مفهوم واضح ومحدد وموحد، فالفقر يختلف بحسب اختلاف المؤشرات المعتمدة لقياسه، حتى باختلاف المجتمعات والجهات داخل نفس المجتمع. وقد اجتهدت عديد المؤسسات الدولية لوضع تعريف للفقر، يمكن اعتماده لقياس التنمية في كل بلدان العالم، من بين هذه المؤسسات البنك الدولي حيث عرف الفقر في عام 2000-2001 بكونه لا يشمل فقط انخفاض الدخل والاستهلاك، بل يشمل أيضا ضعف الانجازات في مجال التعليم والصحة والتغذية وغيرها من مجالات التنمية البشرية»، هناك اتفاق بين هذا التقرير ولدى بعض المفكرين الذين بينوا «أن الفقر هو تدني مستوى المعيشة للفرد أو للأسرة، أي أنه الحرمان المادي والذي تتجلى مظاهره في انخفاض استهلاك الغذاء، كما ونوعا وتدني الحالة الصحية والمستوى التعليمي والوضع السكني وكذلك الحرمان من امتلاك السلع والأصول المادية الأخرى..».

كما كان موضوع الفقر محط اهتمام مختلف الهيئات الدولية العاملة في المجال التنموي والحقوقى، ومحل نقاش مختلف المؤتمرات الدولية، من ذلك مثلا مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية المنعقد بكونهاغن عام 1995، وقمة الألفية التي أقرت للفترة 2000-2015 ثمانية أهداف ذات أولوية في مجال التنمية والمعروفة «بأهداف الألفية» والتي شكل معالجة ظاهرة الفقر أول بند فيها. وأقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام 1948 أن الفقر قضية من قضايا حقوق الإنسان. وتطرق العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمسألة الفقر بشكل غير مباشر حيث طرحت المسألة

من منطلق حقوقي، وعولجت من خلال طرح مجموعة من الحقوق الأساسية التي بتوفرها نحقق العيش الكريم للمواطنين والمواطنات وبالتالي ننتشلهم من حالة الفقر، ومن بين هذه الحقوق: الحق في العمل وفي والتمتع بمستوى عيش لائق والحق في السكن والغذاء والصحة والتعليم.

ويرتبط موضوع الفقر ارتباطا وثيقا بالسياسات السكانية والسياسات التنموية المعتمدة من طرف الحكومات، إله أن تحقيق النتائج المرجوة يبقى رهين تضافر جهود مختلف الأطراف الفاعلة في المجتمع للقضاء على الفقر وتحقيق التنمية الشاملة والعدالة بين مختلف المواطنين والمواطنات، وبين مختلف الجهات في كل البلدان.

وتعتبر تونس من بين الدول النامية التي انتهجت سياسات سكانية للتقليص و/أو الحد من الفقر، ولعلّ طرح هذا الموضوع بعد أحداث 14 جانفي 2011 يزيد من أهميته، خاصة مع بروز التباينات الكبيرة والفجوات الحادة بين الجهات، وبين النساء والرجال في نفس الجهة، ولعل هذا ما يدفعنا للحديث عن ظاهرة «تأنيث الفقر» في تونس.

ورغم الجهود التي بذلتها الحكومات المتتالية، ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الدولية، لا تزال ظاهرة الفقر ظاهرة منتشرة صلب المجتمع التونسي. وتشير معطيات المعهد الوطني للإحصاء إلى تراجع النسبة من 32.4 % عام 2000، إلى 23.3 % عام 2005، وإلى 15.5 % عام 2010، لترتفع مجددا عام 2013 حيث بلغت 15.7 %.

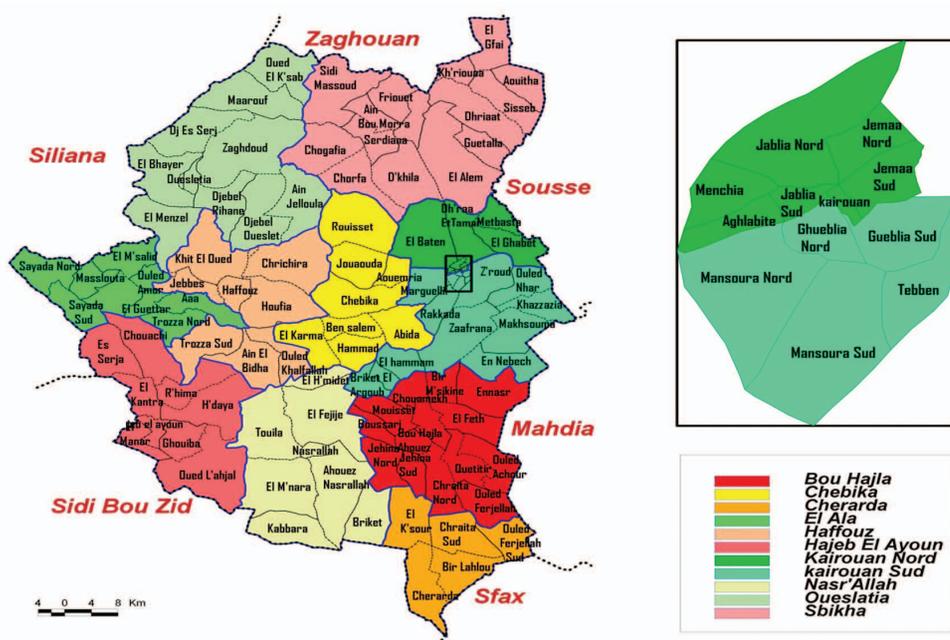
ونظرا لأهمية هذه الظاهرة، وأثرها السلبي على المناطق الداخلية بالخصوص، ارتأت «جمعية مكافحة الفقر» القيام بدراسة حول منطقة المخضومة بالقيروان، والبحث في الواقع المعيش للفتيات الريفيات اللاتي يعانين من تهميش مضاعف، أولا لأنهن من منطقة داخلية لا تتمتع بأبسط المقومات التنموية، وثانيا لأنهن فتيات، فيتم حرمانهنّ من التعليم ومن العمل، مما يزيد تفجيرهن وتهميشهن اقتصاديا.

1. تقديم عام لمنطقة المخضومة مجال هذا البحث:

(1) الموقع الجغرافي

تقع ولاية القيروان في الوسط الغربي من الجمهورية التونسية، ووفق الأطلس المعتمد في معتمدية القيروان الجنوبية تحد منطقة المخضومة جنوبا عمادة «النبش» وشمالا عمادة «أولاد نهار» بينما شرقا «الخرازية» وغربا عمادة «زعفرانة» ويمرّ عبرها الطريق الوطنية «س87»، كما تبعد قرابة الـ 10 كلم عن القيروان المدينة وتبلغ مساحة المخضومة حوالي 40 كلم مربع، ووفق الإحصائيات الرسمية لعام 2004 يبلغ عدد سكانها الجملي 2604 ساكن، منهم 1265 ذكور و1236 إناث.

الموقع الجغرافي للمخضومة في ولاية القيروان

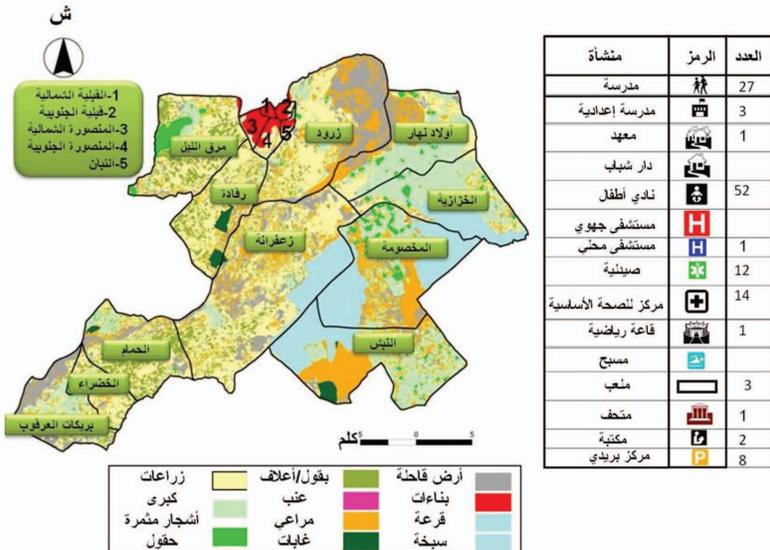


ويوجد في المخضومة 658 مسكنا، ومرفقان عموميان: مدرسة ابتدائية ومستوصف. وقع تشييدهما منذ عام 1962، وبلغت طاقة استيعاب المدرسة 346 تلميذ وتلميذة بالنسبة لعام 2011-2012 موزعين كالآتي: 168 ذكور و178 إناث، عدد الأقسام فيها 8 منها قاعة إعلامية. كما تبعد المدرسة أكثر من 7 كلم على المنطقة السكنية ولا تتوفر وسائل نقل للتلاميذ بين المدرسة والأحياء السكنية ويضطر غالبية التلاميذ إلى المشي على الأقدام كل تلك المسافات.

التقسيم الإداري للقبروان الجنوبية إلى معتمديات وعمادات

المدينة	الوسط	عدد العمادات	العمادات	لجنة حيّ	مجلس قروي
القبروان الجنوبية	بلدي	4	القبيلية الجنوبية، المنصورة الشمالية، المنصورة الجنوبية، الباطن	خريطة	خريطة
خريطة	غير بلدي	11	زرود، رقادة، مرق الليل- خزازية، أولاد نهار، المخضومة، النيش، زعفرانة، الخضراء، الحمام، بريكات العرقوب	خريطة	خريطة

خريطة تفصيلية لمنطقة المخضومة



(2) أهم الأنشطة الاقتصادية في منطقة المخصومة

تعد الفلاحة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها سكان المنطقة، إلى جانب التجارة خلال الأسواق الأسبوعية بالخصوص. هذا وتعاني المخصومة من قلة المياه الصالحة للشرب، حيث لا توجد مياه في المنازل ويضطر السكان إلى جلب الماء من الحنفيات العموميات وهو عمل شاق تقوم به النساء يوميا ويستغرق ساعات عديدة.

كما يلجأ سكان المخصومة إلى تأجير أراضيهم غير الصالحة للزراعة لتستغل في بعض المشاريع المشتركة بين المستثمرين التونسيين والمستثمرين الإيطاليين في تشريح الطماطم والتين، وتنشيط العمالة الريفية التي تستقطب أكثر فأكثر الفتيات والنساء من أعمار متفاوتة بأجور متدنية تقدر بـ 8 دنائير يوميا. ويسهم هذا النوع من المشاريع في تنمية المنطقة وتحسين وضع المتساكنين في الريف، الذين يستغلون حاجة المستثمرين لتلك الأراضي، فيفضلون تأجيرها بأسعار مرتفعة على أن تظل مهملة دون عناية وينتقلون للعيش في القيروان المدينة.

وفي مقابل عمل الفتيات في المخصومة كيد عاملة رخيصة في تشريح الطماطم أو التين، يغيب الشباب الذكور، الذين يعانون بدورهم من البطالة ويلجئ البعض منهم إلى الهجرة السرية نحو الغرب (إيطاليا بالخصوص)، وذلك رغبة في الخروج من دائرة الفقر وانقاذ الأسرة من الخصاصة.

II. أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، العينة والمنهجية

1) أسباب اختيار موضوع البحث

- رغبة «جمعية مكافحة الفقر» في دراسة وضعية الفتيات الريفيات في المخضومة اللاتي انقطعن مبكرا عن التعليم، بسبب تكرار الرسوب أو جراء الفقر الذي يحرم المتفوقات منهنّ من مواصلة تعليمهنّ.
- رغبة «جمعية مكافحة الفقر» في المساهمة في تحسين أوضاع منطقة المخضومة ومكافحة الفقر بمساعدة الأهالي على العمل وتشجيع المستثمرين على تركيز عدة مشاريع لاستقطاب أكبر عدد من العمالة الريفية (ذكورا وإناثا) وتنشيط المنطقة وتنميتها، والخروج من حالة السكون والرضا بما هو موجود إلى حالة الاكتفاء الذاتي والرفاه وتنشيط دواليب حركة البيع والشراء. وانتشال الفتاة الريفية من براثن الاستغلال ومن تقاليد المجتمع الذكوري، ومحاولة تطويرها ومساعدتها.

عمل فتاة المخضومة بشريحة الطماطم



(2) أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

- دراسة أهم العراقيل التي تواجه الفتاة الريفية في المخضومة من ولاية القيروان، وتحول دون تطورها (خاصة الصعوبات في مجالات: التعليم، التكوين، التشغيل، الدمج في العمل الجمعياتي). واقتراح بعض الحلول والتوصيات الموجهة إلى الجهات الحكومية وغير الحكومية بهدف النهوض بأوضاع الفتيات في المخضومة.
- تشجيع الاستثمار في المخضومة وفتح آفاق تشغيل تساعد الشباب على النهوض بالمنطقة
- النهوض بالفتيات في المخضومة وتحسين أوضاعهن وتمكينهن اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا.

(2) عينة البحث

اخترنا ضمن هذه الدراسة عينة عشوائية مكوّنة من 45 فتاة من منطقة المخضومة تتراوح أعمارهن بين 15 و30 سنة، يمكن توزيعهن حسب الجدول التالي:

الاسم	العمر	التعليم	المهنة	الحالة المدنية
منى	20	أساسي	عاملة فلاحية	عزباء
فاطمة	22	أساسي	عاملة في معمل طماطم	عزباء
سارة	16	ابتدائي	عاطلة	عزباء
هدى	28	ابتدائي	عاملة فلاحية	عزباء
نجيبة	19	ابتدائي	عاملة فلاحية	عزباء
منيرة	22	ثانوي	عاطلة	عزباء

متزوجة	عاطلة	ابتدائي	30	سلوى	7
متزوجة	عاطلة	امية	29	بهيجة	8
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	24	هادية	9
عزباء	عاطلة	ابتدائي	25	سكينة	10
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	19	سناء	11
عزباء	عاطلة	أساسي	22	منية	12
عزباء	عاطلة	ابتدائي	18	مريم	13
عزباء	عاطلة	ابتدائي	17	سنية	14
عزباء	عاملة فلاحية	ابتدائي	16	وفاء	15
عزباء	عاطلة	ابتدائي	20	راقية	16
عزباء	عاطلة	أساسي	20	سعاد	17
متزوجة	عاطلة	أساسي	30	حنان	18
عزباء	عاملة في معمل	أساسي	19	بثينة	19
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	22	مفيدة	20
عزباء	عاملة في معمل	باكالوريا	29	منجية	21
عزباء	تدرس	ثانوي	17	زينب	22
عزباء	عاطلة	ابتدائي	21	فوزية	23
عزباء	عاملة فلاحية	ابتدائي	27	ألفة	24
عزباء	عاطلة	اساسي	17	فائزة	25
عزباء	التطريز	ابتدائي	27	حياة	26
عزباء	عاطلة	أساسي	29	هدى	27
عزباء	عاطلة	ابتدائي	27	آمال	28
عزباء	عاملة فلاحية	امية	25	سامية	29

عزباء	عاملة فلاحية	ابتدائي	27	سعيدة	30
متزوجة	عاملة فلاحية	ابتدائي	25	شريفة	31
عزباء	عاطلة	ابتدائي	17	خولة	32
متزوجة	خياطة	باكالوريا	25	كلثوم	33
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	28	نعيمة	34
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	27	سيّدة	35
عزباء	عاملة فلاحية	ابتدائي	21	راقية	36
متزوجة	عمالة فلاحية	امية	29	نجلأ	37
عزباء	عاطلة	أساسي	17	ابتسام	38
متزوجة	عاطلة	ابتدائي	30	ريم	39
متزوجة	خياطة	أساسي	24	بلقيس	40
عزباء	عاطلة	أساسي	21	راضية	41
عزباء	عاملة فلاحية	أساسي	22	سالمة	42
متزوجة	تربية المواشي	أمية	26	صفية	43
عزباء	عاطلة	ابتدائي	25	علياء	44
عزباء	عاملة فلاحية	أمية	23	لطيفة	45

4) المنهجية وتقنيات البحث

اعتمد هذا البحث على المنهجين الكمي والكيفي لمحاولة دراسة الظاهرة في كليتها. كما تم استخدام المقابلة الموجهة كأداة للتليل، وقد تم اعداد دليل للمقابلة مكوّن من 5 محاور هي: المعلومات التعريفية، المستوى التعليمي، العلاقة العائلية، التكوين والتشغيل، معلومات اقتصادية واجتماعية (انظر الدليل في الملاحق).

III. التحولات الاجتماعية في تونس وأثرها على منطقة المخضومة

يرتكز النشاط الاقتصادي في الريف غالبا على الفلاحة، التي توفر عمالة خاصة في غياب مشاريع اقتصادية تقلص من حدة البطالة ومن الفقر. كما لا تزال المجتمعات الريفية مجتمعات محافظة، يحظى الأب فيها بسلطة مطلقة ويتفرد بصنع القرار في أسرته الممتدة. يقوم المجتمع الريفي على فكرة التضامن بين مختلف الأفراد مختلف المناسبات، المفرحة والمحرزنة وخاصة في فترات الازمات، وقد يشاع في المخيال أن الريف هو رمز الهدوء والاستقرار ونظام الحقول الأزلي - كما وصفه غاستون روبنال - والتقليد والمعتقدات والفقر وهو ما يوحي بالخشونة والتأخر.

وقد انبنى تصوّر البعض عن الريف على معطيات وأفكار بعض المفكرين وبعض الدراسات، ولن تتضح الصورة جيدا إلا بالعيش والمشاركة في الحياة الريفية، ولقد بين «جودلي» أن التمثلات الاجتماعية تعطي معنى لأفعالنا وتصرفاتنا.

وفي ظل التغيرات والتطورات التي عاشها المجتمع التونسي، تغير «فضاء الريف» وأصبح الحديث عن ريف ومدينة أمرا متاخلا وأصبحت الحدود بينهما غير واضحة، وساهمت وسائل الاعلام بشكل كبير في تقريب هذه المسافات وتعميق التداخلات.

إن هذه التغيرات والتحولات التي عاشها المجتمع التونسي وغيرت من شكل بنيته الاجتماعية بدأت أساسا منذ فترة الاستعمار الذي عمل على تقويض هياكل البنى التقليدية، وتواصل فيما بعد من خلال السياسات التنموية للدولة بعد الاستقلال خاصة من خلال الهجرة الداخلية أو النزوح بهدف العمل في المصانع.

كما توفرت مجموعة من العوامل ساهمت بشكل كبير في تغير بنية المجتمع، كإجبارية ومجانية التعليم للجنسين، وسياسات التنظيم العائلي، ومجلة الأحوال الشخصية وما كان لها من أثر بارز في تحرير المرأة والنهوض بأوضاعها وضمان حقها في العمل والتعليم... كل هذه العوامل مجتمعة وغيرها، ساهمت في تغير البنية التقليدية للمجتمع التونسي سواء في الريف أو الحضر وخلق نظم علائقية جديدة، وتحولات هامة سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي.

وتعد منطقة المخصومة من المناطق الريفية التي لم تكن معزولة عن هذه التحولات، رغم أنها لم تنل حظها من العملية التنموية. فالأسرة الممتدة تراجعت لصالح الأسرة النووية، وانتشر التعليم وخرجت المرأة للعمل (ولو بشكل غير مهيكّل)، ودخلت المنازل وسائل إعلامية جديدة كالتلفزيون والفضائيات التي باتت تشكل وجهات نظر الشباب وتؤثر على ميولاتهم وحتى أعلامهم، كل هذا جعل من منطقة المخصومة فضاء من التناقضات التي دفعت الذكور من الشباب إلى السعي وراء الهجرة غير الشرعية ركضا وراء سراب الحياة الكريمة، وجعلت الفتيات يعشن بين «أحلام الشاشة الصغيرة» والواقع المرير الذي يسيطر عليه الاستغلال من طرف الآباء والزواج أو من طرف المشغلين، إلى جانب التهميش التام من طرف الهياكل الحكومية وغير الحكومية.

١٧. الوضعية الاجتماعية للفتيات المخضومة

تواجه الفتيات الريفيات بمنطقة المخضومة من معتمدية القيروان الجنوبية العديد من الصعوبات والتحديات التي جعلت من حياتهن اليومية حياة صعبة، حيث تضطر الفتيات عموماً إلى التسرب والاندقطاع عن التعليم في سن مبكرة، وتضطررن للعمل لسد حاجياتهن والمساهمة في توفير دخل للأسرة. وتحظى البعض منهن أحياناً بفرصة لتعلم بعض الأشغال اليدوية التي تسمح لهنّ ببعث مشاريع صغيرة (خاصة الخياطة والتطريز) أو العمل في بعض المصانع. لكن وبشكل عام، يتم استغلالهنّ كيد عاملة رخيصة في المشاريع الخاصة والمتمثلة بالأساس في تشريح الطماطم وغيرها من الخضروات.

أ. المستوى التعليمي لفتاة المخضومة

انطلاقاً من العينة التي تم اختيارها ضمن هذا البحث والمكونة من 45 فتاة، نلاحظ أن المستوى التعليمي للفتيات عموماً هو منخفض جداً، حيث تصل نسبة من لهن مستوى تعليمي بين أمّي وتعليم ابتدائي إلى 31 حالة. كما تشكل نسبة الفتيات اللاتي واصلن تعليمهن إلى مرحلة التعليم الأساسي إلى 31 % أي بمعدّل 14 حالة من جملة الـ 45 فتاة.

وتشير هذه المؤشرات إلى ظاهرة الانقطاع المبكر عن التعليم للفتيات، وتدل على تدهور السياسات التعليمية في الأرياف وأثرها السلبي في تحقيق التنمية الفعلية. إن الانقطاع منذ المرحلة الابتدائية مرادف للأمية، أي أن الفتاة لم تتكون بعد ولم تصل إلى درجة علمية متميزة، ولقد ذهبت في هذا الاتجاه عديد المنظمات الدولية كاليونسكو التي رأت أنه «يعتبر أمياً كل من لا يحسن قراءة وكتابة أي لغة».

المستوى التعليمي

النسبة %	التكرارات	درجة التعليم
11.11 %	5	أمية
57.77 %	26	تعليم ابتدائي
31.11 %	14	تعليم أساسي
0	0	تعليم عالي
100 %	45	المجموع

وعلى الرغم من السياسات التعليمية في تونس والتي وفّرت مجانية واجبارية التعليم حتى سنّ 16 عاما، إلا أننا مازلنا نلاحظ تفشي ظاهرة الأمية في منطقة المخضومة وقد يعود هذا الارتفاع إلى عدم وجود سياسات مفعّلة في اتجاه رفع المستوى التعليمي بالمناطق الريفية. ويمكن القول إنه اجتمعت عدة أسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية لتحويل دون تعليم الفتاة في المخضومة. من بين هذه الأسباب نجد العوامل الثقافية والمتمثلة في ضيق أفق الأولياء ونظرتهم المحافظة والسلبية للمرأة، حيث لزال بعض الآباء يميزون بين البنات والذكور ويعتبرون أن المكان الطبيعي للمرأة هو المنزل ولذلك لا داعي لتعليمها. تقول بهيجة (29 سنة، أمية، ربة بيت، متزوجة) «أنا ماقريتش على خاطر ظروف دارنا كانت صعبة برشه وأيضا عندهم التمييز بين البنات والولاد».

إن التمييز في التعليم ضد البنات ولصالح الذكور يعدّ سببا خطيرا جدا وتقع وراءه كل المنظومة الثقافية للمجتمع التونسي التقليدي التي لا تزال ترى في الذكر سندا ومجالا «للاستثمار» فيه للمستقبل بما أنه سيكون مسؤولا على تأسيس عائلة، وأن له الأولوية على أخواته البنات. تقول منى (20 سنة، تعليم أساسي، عاملة فلاحية، عزباء) «ظروف وعقلية بابا محبش نركب مع الولاد في الكار»، وتضيف سامية (25 سنة، أمية، عاملة فلاحية، عزباء) «الوليد عنده حظ أوفر من الطفلة».

إلى جانب الظروف الاجتماعية والعوامل الثقافية، تلعب الدوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعيشها الأُسرة الريفية دورا كبيرا في تحديد مستقبل الأَطفال وخاصة في حرمانهم من التعليم. لقد كانت الفتيات أولى ضحايا الفقر والظروف المادية الصعبة للأُسرة، وبالتالي فقد ساهمت هذه الظروف في القضاء على طموحاتهنّ كليا وفي ترسيخ ثقافة الاستسلام والرضوخ والاهتمام بشؤون الأُسرة الداخلية وتحديدًا تولي كل المهام المنزلية واعتبارها الدور الطبيعي والأساسي للمرأة في الحياة، مما ولد لدى البعض منهن شعورا بالقهر والظلم خاصة إذا ما شاهدن فتيات أخريات من منطقتهنّ يزاولن تعليمهنّ او يعملن، وعبرن عن ندم شديد لعدم تمتعهن بفرصة للتعليم والنهوض بأوضاعهنّ.

في هذا السياق تقول فاطمة (22 سنة، تعليم أساسي، عاملة فلاحية، عزباء) «ندمت بالطبيعة خاطر أصحابي كملوا قرايتهم»، وتضيف «ثمة فرق بيني وبينهم بالطبيعة، هوما مثقفين خير مّتي». أما نجيبه (19 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) فتقول «بلحق حسيت بالنّدم .. وأكيد ثمة فرق، هوما أكثر مني خبرة ومعرفة»، وتؤكد ذلك سيّدة (27 سنة، ابتدائي، ربّة بيت، متزوجة) بقولها «حسيت مالا لا؟ وناكل في صوابعي ندم»، وتعتبر ابتسام أن «الفرق كبير بينها بين إلى قراو... واحد عايش وواحد ميّت» (17 سنة، تعليم أساسي، عاطلة، عزباء).

ومن الملف للانتباه، أن في إجابات عديد المبحوثات عن سؤال «إنت آتش تعمل في حياتك»، كانت الاجابات في الغالب من نوع: «في الدار»، «لاهيّة بداري واولادي»، «متزوجة»، «معرسة وعندي وليّد»، «تربية الصغار وتربية المواشي» عوض تحديد نوعية العمل أي دورها الانتاجي في الحياة، وفي هذا طبعًا نوع من الاستبطان بأن دورها الطبيعي والعادي هو العناية بالبيت والأُسرة وبالتالي الدور الدنجابي.

إن التعليم في نظر فتيات المخصومة يمثل قيمة مهمّة جداً، مما جعلهنّ يتحسّرن على حرمانهن من هذا الحق وهذه الفرصة، وأكدن معظمهن أنّهن على استعداد للعودة إلى مقاعد الدراسة إذا ما توفرت لهنّ الفرصة، كما اعتبرن أنّ ما ينقصهنّ اليوم هو الثقافة والمعرفة والخبرة، لكن الظروف كانت حاسمة ولم يكن امامهنّ خيارات أخرى في تلك اللحظة.

ولم يثنيهنّ الوضع الراهن الذي تعشنه عن التعبير عن آمالهنّ وطموحاتهن التي لم تتحقق، فكانت اجاباتهم عن سؤال «شئونه حبيت تولي كان كملت قريت» من نوع محامية وطبيبة ومدرسة ومهندسة ودكتورة وأستاذة ومهندسة ديكور...إلخ.

ورغم عدم النجاح في تحقيق الأطلم، تتشبث بنات المخصومة ببصيص أمل عبّرن عنه من خلال التأكيد على رغبتهنّ في اكتساب بعض المهارات (الخطاطة، التطريز والحجامة) أو اللغات وذلك بغية تحسين مستواه الثقافي وفتح مجالات جديدة وأفق جديد للحصول على عمل لهنّ ولجميع فتيات المنطقة. من ذلك مثلا ما قالته سيّدة (27 سنة، ابتدائي، ربّة بيت، متزوجة): «انجم نخدم في الخطاطة أو أي حاجة اخرى نتعلمها.. نحب نعمل مشروع يخدمو فيه بنات المنطقة».

ب. ظاهرة الانقطاع المبكر عن التعليم في الأرياف

أوضحت ظاهرة الانقطاع عن التعليم متفشية في المجتمع الريفي التونسي، حيث تكتلت عدة عوامل ذاتية واجتماعية واقتصادية لتعمل على حرمان الفتاة حقها في التعليم وفي تنمية قدراتها الذهنية. وترك هذا الانقطاع فراغا في حياتها وشعورا دائما بالدونية، وولد لديها رغبة في العودة إلى مقاعد الدراسة، هو هاجس اتفقت عليه أغلبية المنقطعات عن التعليم، واللذان أعربن عن رغبتهن الجارفة في مواصلة الدراسة لو سُنحت لهنّ الفرصة.

وتشكل المدرسة جسر عبور إلى المعرفة، وإلى امتلاك القدرة على التواصل والتفاعل مع مختلف العلاقات والوضعيات واكتساب ثقافات وقيم جديدة، لذلك يبقى التعليم الوسيلة المثلى لتحصيل المعارف، وتحقيق التدرج العلمي والخروج من الجهل، ويبقى النجاح والفشل في مستوى أول مسؤولية الأسرة أباعتها لخلية الأولى التي يخضع فيها إلى جملة من الضوابط الاجتماعية والقيم والسلوكيات ويقع تحضيره نفسيا واجتماعيا للدخول في مرحلة الدراسة، هذا التحضير هدفه تحصيلهم من خطر الانزلاق في متهاتات الحياة. وعليه يرتبط الفشل المدرسي إجمالاً بعنصرين، المحيط الأسري من جهة، والسياسات والمؤسسات والظروف الهيكلية من جهة ثانية.

لقد تبين لنا وجود نوعان من حالات الانقطاع عن التعليم: الانقطاع الجباري والانقطاع التلقائي.

يكون الانقطاع الدراسي اجباريا في الحالات التالية:

1. تكرر الرسوب مما يؤدي إلى طرد التلميذ/ة بسبب الفشل المدرسي. وقد فسّر عالم الاجتماع بيار بورديو ظاهرة الفشل المدرسي في كتابه «في إعادة الإنتاج» بأن التلاميذ المنحدرين من الفئات الاجتماعية الفقيرة يواجهون صعوبات دراسية تؤدي بهم إلى الرسوب والفشل الدراسي على عكس التلاميذ المنحدرين من الفئات الميسورة ، فالظروف الاجتماعية المساعدة تمثل رأسمال رمزي يساعد ويحفز البعض، ويعيق البعض الآخر. تقول إحدى المستجوبات «دوبلت برشي... حشمت نقرأ مع أصحابي أصغر مني» (منيرة، 22 سنة، ثانوي، عاطلة، عزباء).

2. بعد المسافة بين محل السكنى والمدرسة أو المعهد وصعوبة التنقل نظرا لعدم توفر وسائل نقل مناسبة (خاصة في فصل الشتاء). تقول آمال (27 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) «بطلت خاطر الظروف الحرفة... والبعده عن المدرسة»، وتضيف مستجوبة ثانية قائلة «بعد الدار عن الطريق الرئيسية

خلاني ما نكملش قرائتي» (نعيمة، 28 سنة، ابتدائي، ربة بيت، متزوجة). أما سالمة (22 سنة، تعليم أساسي، عاملة فلاحية، عزباء) فترى بدورها أن صعوبة الوصول إلى وسائل النقل هو السبب وراء انقطاعها عن التعليم «على خاطر الطريق بعيد إلى يوصل للكار باش نمشو نقروا».

3. رفض بعض الآباء الاختلاط بين الذكور والإناث: ولقد أفادتنا محدثتنا منى (20 سنة، تعليم أساسي، عاملة فلاحية، عزباء) أنها اضطرت إلى الانقطاع عن التعليم في السنة الثامنة من التعليم الأساسي وذلك لرفض والدها أن تركب في نفس وسيلة النقل مع الذكور «ما كملتش قرائتي بسبب ظروف وعقلية بابا ما حبنيش نركب مع الأولاد في الكار».

إن سبب انقطاعها عن التعليم لم يكن ماديا بل كان نتيجة الثقافة المحافظة للأب الذي لا يرضى بأن تختلط ابنته الوحيدة بالذكور، ولقد فسرت محدثتنا ذلك بأن أرجعت تصرف والدها إلى «العقلية القديمة» التي تربي ونشأ عليها، وعبرت عن رضاها وتأقلمها مع ظروفها معتبرة أن موقف والدها هو نتيجة حبه لها وخوفه عليها. ورأت أن موقفه سليم وأنه لا يميز -من وجهة نظرها- بينها وبين اخوتها الذكور، بل على العكس فهو يميزها عنهم لأنها البنت الوحيدة «لا بالعكس يميزوا معايا أنا خاطرني بنية وحدة».

وتعيد منى - بشكل تلقائي- وعلى مستوى خطابها، إنتاج المنظومة الفكرية التقليدية ذاتها لوالدها حيث تعتبر أن المكان الطبيعي للفتاة هو المنزل «البنية لا زم تقعد في الدار والولد هو إلي يخرج يخدم»، ورغم تعبيرها عن رضاها التام وتأكيد لها لذلك في مناسبات عديدة، فإنها لم تتمالك نفسها للقول إنها تريد العودة إلى مقاعد الدراسة وأنها تشعر بالندم «نحب نرجع، علاش لا.. أنا نحس بأني ناقصة».. ويبقى هاجسها في أن تصبح «طبيبة قلب» حلما صعب التحقيق في ظل ظروفها الراهنة واقتناعها المغلوط بأن مكانها الطبيعي هو المنزل.

أما منجية (29 سنة، باكالوريا، عاملة بمصنع، عزباء) فتعي بشكل جيد وجود عملية إعادة إنتاج للمنظومة الثقافية والقيمية المحافظة، والتي يتم توارثها وتناقلها عبر الأجيال، فتقول «بالطبيعة ثمة فرق في معاملتهم ليا ولخواتي، هو ما تربّوا هكاكه، وهو ما زاده والديه يفرقوا بينهم وبين اخوتهم في المعاملة..».

إن التعبير عن الرضى الذي لمسناه لدى جُلّ المبحوثات، والذي جاء بصياغات مختلفة من نوع «لاباس»، «الحمد لله»، «راضية ومقتنعة».. إلخ، ما هو في نهاية المطاف سوى استسلام ورضوخ للأمر الواقع، ويدخل في ما نعبر عنه بالرضا وقبول القدر والاستسلام له بما هو مشيئة عليا لا يمكن تغييرها، ففي ثقافتنا العامة، تعتبر القناعة والرضى قيما أخلاقية ايجابية وجب التحلي بها وتعتبر من الفضائل، لذا تجد أن الناس حتى في أروى الأحوال يقولون بأنهم راضون وقابلون ويحمدون الله على ما هم فيه.

تقول بلقيس «مستورين وانا متأقلمة وراضية، معنديش حلّ آخر» (24) سنة، تعليم أساسي، خياطة، متزوجة)، وهو ما وافقتها عليه كل من آمال (27 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) «راضية والحمد لله، وكان مانيش راضية أشنوه عندي نعمل؟» وسعيدة (27 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) «متأقلم مع ظروف عائلتي، معنديش حلّ، كان جاء ليا راني بخدمتي وراني مستقلة على دارنا».

4. صعوبة برامج التدريس وأساليب العقاب التي ينفر منها التلاميذ والتلميذات.

5. ضعف و/أو غياب الإشراف التربوي والمراقبة وعدم التزام بعض المعلمين والأساتذة بساعات التدريس والغياب المتكرر في بعض الأحيان نظرا لصعوبة العيش في الريف وعدم توفر إطار هيكلي مناسب.

6. ضعف القدرة المادية للآباء وصعوبة توفير المستلزمات الضرورية لتعليم الفتيات من مأكّل وملبس وأدوات ووسائل نقل وغيرها من المصاريف. تدفع هذه الظروف الفتيات عموماً إلى الانقطاع عن التعليم وذلك ليدراكهنّ محدودية قدرة الآباء على الاستجابة لمختلف مصاريف الأبناء الذين يدرسون، فتفضل الفتيات -وبنوع من الإحساس بالمسؤولية- الانقطاع عن الدراسة لتخفيف العبء عن الأسرة، أو في حالات أخرى يفضل الآباء تدريس الأبناء الذكور على البنات.

بينت لنا فوزية (21 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) «أنا بطلت القراية من السادسة ابتدائي على خاطر ظروف دارنا صعبية، بابا ما يقدرش على مصروف القراية». أما سارة (16 سنة، تعليم ابتدائي، عاطلة، عزباء) (واصل اثنان من أشقاءها التعليم) فتقول «خرجت نخدم وأنا صغيرة باش نعاون بابا عامل يومي ونحن 6 في العائلة...ماعناش باش نقرأ... ثمة فرق بين معاملة بابا ليا ولأخواتي لولاد.. وأنا نحس بالنقص، بابا يقول إلي أنا بنية ويلزمني الدار.. ويبجل خويا عليا، ساعات نقول كان جيت كيفه.. أما الحمد لله».

أما هادية (24 سنة، ابتدائي، ربة بيت، متزوجة) فقد انقطعت عن التعليم في السنة الثالثة ابتدائي، واعتبرت أنها هي من أخذ القرار لوعيها بصعوبة الظروف المادية وكى تسمح لإخوتها الذكور بمواصلة دراستهم «ظروفنا ما تسمحش، بطلت وحدي، انا حبيت نبطلّ باش نعاون بابا باش يقري اخوتي».

ويبقى السؤال هنا عن مدى مسؤولية الفتيات وادراكهن الواعي لجدية قراراتهن ومقدرتهن اصلاً على اتخاذ قرار كهذا في سن صغيرة واعتبار ذلك «قراراً حراً».

وكحالة سارة وهادية وفوزية، وجدنا حالات أخرى عديدة، واصل خلالها الذكور تعليمهم وتمت التضحية بالفتيات واجبارهن على الانقطاع عن الدراسة، وايهامهن بأنهن كنّ من اتخذ القرار.

اما الانقطاع الدراسي التلقائي فيعود أساسا إلى عوامل نفسية أو اجتماعية.

العوامل النفسية مردّها أساسا التغيرات الفيزيولوجية الطارئة التي تعيشها الفتاة خلال مرحلة المراهقة، والتي تنعكس سلبا على تصرفاتها التي تصبح عدوانية خاصة في تعاملها مع من حولها. وإذا ما رسبت في التعليم فإنها تقرر الانقطاع لأنها لا تريد أن تدرس مع من هم أصغر منها سنا. وفي هذا السياق أعربت لنا منيرة (22 سنة، ثانوي، عاطلة، عزباء) والتي كانت تطمح بأن تصبح معلمة، انقطعت عن التعليم بسبب رسوبها المتكرر وخجلها من الدراسة مع من هم أصغر منها سنا «فديت، عاودت العام 3 سنين ... حشمت نقرا مع أصحاب أصغر مني، وأنا أخشن منهم». كما قد تساهم بعض الأحداث العرضية مثلا في تسرب الفتاة في هذه المرحلة الحرجة من ذلك مثلا تعرضهن إلى الإهانة من قبل الأساتذة أو حصولهنّ على أعداد ضعيفة «انا محببتش، كرهت القرابة» (فاطمة، 22 سنة، تعليم اساسي، عاملة فلاحية، عزباء)، أو حالة سعاد (20 سنة، أساسي، عاملة فلاحية، عزباء) التي تقول «انا ما حبيتش نكمّل ومعدّلي ضعيف».. كما أكدت سعاد بأنها لا تشعر بالندم لقرارها و«مانيش قاربه النقص في روجي».

أما العوامل الاجتماعية، فتتمثل أساسا في الرغبة في الزواج المبكر، وذلك إما بضغط من الأسرة لتقليص المصاريف، أو أحيانا برضا وقبول «مغلوط» من طرف الفتيات (نظرا لأنهن لسن في حالة تمكنهن من الاختيار الرشيد وأخذ القرارات المناسبة)، حيث تعيش الفتيات في هذه المرحلة من المراهقة «حلم» «فارس الأحلام» وتكون لديهنّ الرغبة في الزواج وتأسيس أسرة وارتداء «فستان الزواج»، لذلك تقرر الانقطاع عن التعليم لتدخلن في «سوق» عروض الزواج. ويسود اعتقاد عام في المجتمعات الأبوية وخاصة في الأرياف بأن «التعليم يعطل الزواج». تقول كلثوم (25 سنة، باكالوريا، صاحبة مشروع صغير، متزوجة) «بطلت القرابة على خاطر العرس وتزوجت، لكن بعد 4 سنوات أحسست بالملل... لو تجيني فرصة الرجوع للقرابة نعاود نرجع باش نولي طيبية وما نحسش روجي ناقصة».

وما يمكن أن نستنتجه في منطقة المخصومة هو أن التسرّب المدرسي يمثل حادثة مريرة في ذاكرة الفتيات، وهو في ارتباط وثيق مع تواصل النظام الأبوي الذي وإن تقلصت حدّته إلا أنه مازال راسخا في تفكير بعض الآباء في المخصومة ويعاد انتاجه لدى الأبناء. هذا وتزيد الصعوبات الهيكلية والتنظيمية والتنموية من تعميق حدّة هذه الظاهرة وخطورتها.

٧. أخذ القرار داخل الأسرة والتفرقة بين الذكور والبنات

إن معاملة الآباء للبناء في المجتمعات الذكورية والبطريكية عموماً تتسم بالتمييز ضد البنات لصالح الذكور، وتشتد هذه الحالات خاصة في الأوساط الريفية المحافظة. إلا أن ما تمت ملاحظته من خلال المقابلات التي أجريت مع الفتيات في المخضومة هو أن 30% منهن يعتبرن أنه لا توجد تفرقة بين الذكور والإبنات، ذلك أنه رغم الظروف المادية الصعبة، إلا أن علاقة الآباء بأبنائهم تعتبر علاقة حميمة يسودها الاحترام وعدم التمييز بين الذكور والبنات حسب ما جاء على لسان بعض المبحوثات. كما يعطي الآباء البنات مجالاً للخروج والعمل حينما تتوفر الظروف والفرص المناسبة.

بينما تعتبر نسبة 33% منهنّ أنه ثمة تفرقة بين الجنسين، وهذه التفرقة واضحة، ويعتبرنها طبيعية، توارثها وتناقلها الآباء جيلاً بعد جيل، ولم تعد تؤثر في أبناء الجيل الحالي. تقول منجّية (29 سنة، باكالوريا، عاملة في مصنع، عزباء) «ثمة فرق في المعاملة بين الأولاد والبنات على خاطر هو ما تربو هكاكة، ووالديهم زاده فرقوا بينهم وبين إخوتهم في المعاملة... وبالطبيعة يأخذوا رأي خويا ويجلوه... تمنيت نكون في بلاصت خويا... على هذاك مانيش راضية بوضعتي».

ورغم مساهمة الإبنات وتحملهن المسؤولية في توفير حاجيات الأسرة ونفقاتها اليومية، إلا أنه يقع إقصاؤهن في كل ما يتعلق بالقرارات المصيرية والمهمة للأسرة ولا تتم استشارتهن، حيث يصبح الأمر ذكوريا بالأساس، ليقتصر أخذ القرارات على الأب والأولاد الذكور.

تقول سارة (16 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء): «ما يسألونيش أصلاً»، وتضيف آمال (27 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) «ياخذوا رأي لولاد، ورأيي أنا كينوا موش موجود»، وتؤيدها في ذلك سعيدة (27 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) «رأيي موش موجود...»، وهدى (28 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) «رأيي

موش موجود»، وإن حدث واستشيرت الفتاة فلد يكون ذلك إله في الأمور البسيطة «مش برشه، كان في حاجات بسيطة» (منى، 20 سنة، تعليم اساسي، عاملة فلاحية، عزباء).

اما وفاء (16 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) فتقول: «بابا وأمي يعاملوا البنات خير من الأولاد على خاطر نحنا نخدموا ونعاونوا فيهم... بالنسبة ليأ كيف كيف أنا واخوتي لولد، اما بابا وامي ياخذوا كان رأي اخواتي الولد، ويجلوهم خاطر موش كي الطفلة كي الطفل، عالعادة والعوايد».

ووصل الأمر بالبعض من الفتيات إلى تمنى لو كنّ ذكورا، أو كنّ في مكان أشقائهن الذكور كي تنلن نفس الحظوظ في الحياة وفي المعاملة «تمنيت باش نكون في بلاصة خويا» (سنا، 19 سنة، عاطلة، متزوجة)، وأكدت ذلك مريم (18 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) بقولها «حببت روجي في بلاصت خويا». نلاحظ مما سبق أن هناك حالة «استغلال» للفتيات من طرف الآباء كطاقات انتاجية، ومن ناحية ثانية يمارس نفس الآباء نوعا من «الاقصاء» للبنات من مجالات أخذ القرار ومنح الأبناء الذكور فرصة لممارسة هذه السلطة. إن هذا الوضع يساهم في مواصلة الفكر الذكوري والثقافة الأبوية المبنية على تهميش المرأة واقصائها مقابل استغلالها اجتماعيا واقتصاديا.

إن هذا التهميش للنساء الذي يبدأ مع دفعهن أو اجبارهن على الانقطاع عن التعليم، ويتواصل مع تهميشهن اجتماعيا واستغلالهن اقتصاديا من شأنه أن يعيق العملية التنموية، والنهوض بالمناطق الريفية. فالتعليم هو الوسيلة النافذة التي يمكن أن يطل عبرها سكان الريف ويتواصلوا مع العالم الآخر، بالتالي هو «توق» النجاة سواء للإبنات أو للذكور وهو الكفيل بإخراجهن من حالة الفقر والتهميش إلى حالة الفعل الاجتماعي والمساهمة الاقتصادية وحتى الاجتماعية والسياسية.

هذا وللاحظنا أن المستجوبات يبحثن عن مبررات لحالة التفرقة التي يشعرن بها في معاملة الآباء لهن ولإخوانهن، فمنهن من اعتبرت أن اعاقه شقيقها هي التي جعلت الأدب ينحاز له «بيجلو خويا على خاطره معاق» (راقية، 21 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) أو لأنه هو الأكبر أو الأصغر أو لكونه أنهى دراسته، أو أنه يساهم في إعالة الأسرة، أو ببساطة لأنه هو الذكر «إلخو يبجلوه على خاطره ولد، والبنية ما تعيش كان بنية» (حياة، 27 سنة، ابتدائي، التطريز، عزباء)، وهو ما اكدته نعيمة بقولها: «رايه هو الأهم.. على خاطر هو راجل وانا امرأة وزيد لا نقرأ ولا نخدم» (28 سنة، ابتدائي، ربة بيت، متزوجة).

اما ابتسام (17 سنة، تعليم أساسي، عاطلة، عزباء) فقد اعتبرت أن أسرتها لا تستشيرها لأنها عاطلة ولم تدرس، وعلى العكس فإن أباها يساهم في النفقات ومن ثمة اكتسب مكانة داخل الأسرة «على خاطر الولد ديما يصرف والبنية بطالة، ثمة فرق كبير بيناتنا...على خاطرني بطالة مترسمة دارنا مطفيني جملة».

ولعل ما قالت بلقيس في وصفها لحالتها ولحالة العديديات كفيلا بأن يوضح لنا الظروف القاسية التي تعيشها فتيات المخضومة. تقول بلقيس (24 سنة، تعليم أساسي، خياطة، متزوجة) «البنية الريفية متحطمة»، فلا تعليم ولا شغل ولا وسائل ترفيه (ما عدى التلفزيون والراديو)، وحياة تقتصر على العمل بشكل غير مهيكلا ولا مقنن في جمع الطماطم أو في بعض المهن الصغيرة كالخياطة والتطريز والصوف في انتظار فارس الأحلل المنقذ من الفقر والخصاصة، أو فرصة عمل تبدو صعبة المنال نظرا لانعدام الكفاءة أو لوجودها في مكان بعيد يصعب على الفتيات الوصول إليه إما لعدم وجود وسائل نقل أو بسبب العقليات المحافظة التي منعتهن سابقا من مواصلة الدراسة. وتلخص آمال (27 سنة، ابتدائي، عاطلة، عزباء) الوضع كالتالي: «الحل؟ العرس كان ثمة والخدمة كان توجد» وذلك في اجابته عن سؤال حول الحلول التي تراها للخروج من وضعيتها، ووافقتها في ذلك هدى (28 سنة، ابتدائي، عاملة فلاحية، عزباء) «نخدم وإلا نعرّس».

٧. النقائص والتحديات في المخضومة

تشكو منطقة المخضومة من عدّة نقائص على الرغم من توفر بعض المرافق العمومية الأساسية كالمدرسة والمستوصف لكنها لا تمتلك أي تجهيزات تذكر.

من بين هذه النقائص الهيكلية والأساسية نذكر:

- ضعف/انعدام خدمات توزيع الماء الصالح للشرب والكهرباء.
- انعدام مواطن الشغل (مصانع)
- انعدام مراكز التأهيل والتكوين والتدريب
- نقص/انعدام وسائل النقل المخصصة للتلاميذ
- عدم وجود معاهد ثانوية قريبة
- غياب مركز بريدي
- انعدام وسائل وفضاءات الترفيه
- انعدام فرص التشغيل وارتفاع البطالة بين صفوف الشباب
- انعدام المشاريع التنموية على الرغم من وجود مساحات كبيرة يمكن استغلالها لإقامة عدة مشاريع.
- انعدام العمل الجمعياتي واقصاء الفتيات منه في حال وجد.

ورغم مختلف النقائص التي تحول دون تنمية الفتاة الريفية وتزيد من صعوبة العيش في الريف، إلا أن 68.88% من الفتيات المبحوثات عبّرن عن رضائهن بنصيبيهنّ وتأقلمهنّ مع أوضاعهنّ وقناعتهنّ بما هو موجود. لكنهنّ وخلافا لما صرّحن به من قبول ورضا، فإنهن عبّرن عن استعدادهن لقبول أي عمل يعرض عليهن ليتمكن من الخروج من حالة الفقر وتحسين أوضاعهن وأوضاع أسرهنّ (ولو كان ذلك بأجر زهيد ولساعات طويلة)، ولعل هذا القبول الذي عبّرن عنه في البداية ما هو سوى تسليم بالواقع وإعادة إنتاج لما ترين عليه من ثقافة «قدريّة» فيها الكثير من الخضوع وقبول للأمر الواقع.

في حين عبّرت 31.11 % من الفتيات عن رفضهنّ الوضع السيء ورغبتهنّ في التغيير وتحسين معيشتهنّ والنهوض بأوضاعهنّ.

تعاني الفتاة في المخصومة من العديد من العراقيل وتواجه عديد التحديات، فبين الضغوط الاجتماعية التي تجعل منها المرشحة الأولى للحرمان من الدراسة، وبين العراقيل التربوية والثقافية التي تجعلها تستبطن بعض الأفكار كدونية المرأة وبعض الصور النمطية عن أهمية «التضحية» من أجل الأسرة، وضرورة الزواج للمسترة، وضرورة بقاء المرأة في الفضاء الداخلي واقتصار دورها الاجتماعي على الدور الانجابي، وبين الظروف الاقتصادية القاسية وصعوبة العيش في الأرياف وانعدام الفرص للترقي والنهوض بالوضع الاقتصادي، وبين غياب أي دور للهياكل الحكومية وللجمعيات غير الحكومية، تجد فتاة المخصومة نفسها أمام اختيارين:

1. التسليم وقبول الوضع والرضوخ له واقناع النفس بأن الأب والأسرة والمجتمع على حقّ في كل ما يقولون وما يفعلون، وأن وضعها هذا هو «طبيعي» وأنها يجب أن تتوقف عن التعليم لأن مكانها الطبيعي هو المنزل أو لكي يتمكن شقيقها من مواصلة تعليمه (وهذا لا يعفيها طبعاً من العمل منذ تاريخ خروجها من المدرسة في تشريح الطماطم وغيرها من الأعمال الشاقة وقليلة الدخل).
2. رفض هذا الوضع والشعور بالمرارة والرغبة في التغيير والاضطرار لقبول أي عمل وبأبخس الأجور لتحسين أوضاعهن، والعيش على «حلم» الزواج للخروج من بوتقة الفقر ومن ضغوط واستغلال الأسرة لها.

إن الوضع الذي تعيشه «المخصومة» وتعيشه نساء المخصومة يتطلب التدخل الفعال والسريع من مختلف الأطراف الفاعلة، فأهدار الطاقات الشابة، وانتشار الجهل والأمية والبطالة من شأنه أن يعرقل أي عمل تنموي حقيقي في منطقة المخصومة وولاية القيروان ولتونس.

٧.١. التوصيات

نورد هنا جملة من الاقتراحات اقتبسناها من البحث الميداني ومما جاء على لسان بعض المبحوثات، هدفها تنمية المنطقة وإيجاد آليات تشغيل تنقذ الأبناء من خطر البطالة و«الحرقان» الهجرة غير الشرعية خاصة إلى إيطاليا. فكانت المطالب والتوصيات عديدة منها، نوردها كالتالي:

1. دور المؤسسات والهيئات الحكومية

- توفير المرافق الاجتماعية الضرورية خاصة الكهرباء والماء الصالح للشرب،
- وضع سياسات وبرامج تكوين وتشغيل في المخضومة، تستهدف الفتيات والشباب عموماً.
- تعميم برامج التنمية الفلاحية التي تمتعت بها ولاية القيروان وتحديد الوسلائية والعلا والحاجب، والسيخة، وحفوز والتي وقع فيها إقصاء المخضومة.
- بعث مشاريع تنمية في الجهة تستقطب الشباب العاطل، مع توفير ما يلزم من وسائل نقل.
- مراقبة وزارة التربية للمدارس قصد تقليص حالات التسرب المدرسي في صفوف الفتيات خاصة في المراحل الابتدائية،
- تشجيع برامج تعليم الكبار،
- مراقبة المدارس والمربين وتحسين نوعية التعليم وظروفه.
- توفير «مبيت» للفتيات في ولاية القيروان،
- توفير معهد ثانوي في منطقة المخضومة،
- توفير مراكز تأهيل وتكوين مهني،
- توفير وسائل نقل بين المدارس والمناطق السكنية في المخضومة وغيرها من المناطق المتاخمة للقيروان،
- مراقبة القطاع الخاص ووضع وتفعيل القوانين لحماية الفتيات العاملات في العمل غير الرسمي من الاستغلال.

- توفير بطاقات العلاج للأسر الفقيرة في المخضومة وخاصة للنساء العاملات في القطاع غير الهيكل.
- تفعيل ومراقبة سياسات تنظيم الأسرة وتوعية المواطنين والمواطنات بأهمية تنظيم النسل.
- توفير مراكز ترفيهه للأطفال،
- توفير مراكز ترفيهه للأسر.

2. دور المنظمات غير الحكومية (الجمعيات)

- استقطاب وتشجيع الفتيات للانخراط والمساهمة في العمل الجمعياتي.
- المساهمة في مراقبة البرامج التنموية والمخططات ومساعدة مؤسسات الدولة في الاستجابة الى الحاجيات الحقيقية لأهالي المنطقة المساهمة في وضع برامج تعليمية وتثقيفية وبرامج تكوين مهني للفتيات،
- توعية الشباب بخطورة «الحرقة» وبضرورة تنمية جهة المخضومة،
- مراقبة القطاع الخاص وعدم السماح لهم باستغلال الفتيات،
- توعية الفتيات بحقوقهن سواء على المستوى الخاص أو العام،
- المساعدة في تدريب الفتيات على بعض الأَشغال اليدوية، واستغلال ما هو موجود في المنطقة لإيجاد أفكار لمشاريع صغرى جديدة توّفر مجالات عمل للفتيات (خياطة، تطريز، صوف، حلاقة، تربية الماشية).
- تكثيف البحوث والدراسات حول الأرياف، وحول الفتاة الريفية بصفة خاصة التي مازالت وضعيتها تحتاج إلى دراسات معمقة ومستفيضة.
- توعية الفتيات بالإمكانيات التي تتيحها بعض الجمعيات التي تمول مشاريع صغرى (اندا مثلا).
- تنظيم دورات تدريبية في الخياطة والتطريز والحلاقة،
- مساعدة الفتيات الراغبات في بعث مشاريع على تقديم الطلبات للجهات المختصة،
- دفع الفتيات على التنظيم ضمن تجمعات، والقيام بمشاريع مشتركة.

الخاتمة

لا تختلف حالة منطقة المخصومة كثيرا عن حالة بقية المناطق الريفية في تونس، والتي ساهمت أحداث 11 جانفي 2011 في إمالة اللثام عنها وكشفها للعموم بعد أن عاشت تونس لفترة طويلة على فكرة انخفاض نسب الفقر ووجود البرامج التشغيل في كل مكان وشمولية البرامج التنموية.

ولعل اهتمام «جمعية مكافحة الفقر» اليوم بالمخصومة يأتي ضمن وعي مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات تحديدا بضرورة مساهمتها في النهوض بتونس كل من مكانه ومن دوره، وبأن تلعب دورها الطبيعي في العملية التنموية.

ومؤكد أن تضافر جهود مختلف الفاعلين سيؤدي حتما إلى تغيير الأوضاع بالمخصومة وغيرها، فالتعاون بين المؤسسات الحكومية والجمعيات والقطاع الخاص سيسمح بالتأكيد بفتح آفاق جديدة لشباب الريف التونسي، وسيعطي دعما معنويا جديدا لهم قد يجعلنا نتفادى الهجرة غير الشرعية «الحرق» وتسرب الفتيات من التعليم، لنوفر لشباب تونس فرصة جيدة للعيش الكريم والعمل بكرامة في هذا الوطن.

ويبقى شعار «شغل، حرية، كرامة وطنية» شعارا رمزيا يختصر كل مطالب شباب تونس في المدن وفي الأرياف.

الفهرس

مقدمة

I. تقديم عام لمنطقة المخصومة مجال هذا البحث

1. الموقع الجغرافي
2. أهم الأنشطة الاقتصادية في منطقة المخصومة

II. أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، العينة والمنهجية

1. أسباب اختيار موضوع البحث
2. أهداف البحث
3. عينة البحث
4. المنهجية وتقنيات البحث

III. التحولات الاجتماعية في تونس وأثرها على منطقة المخصومة

IV. الوضعية الاجتماعية لفتيات المخصومة

1. المستوى التعليمي لفتاة المخصومة
2. ظاهرة الانقطاع المبكر عن التعليم في الأرياف

V. أخذ القرارات داخل الأسرة والتفرقة بين الذنات والذكور

VI. النقائق والتحديات

VII. التوصيات

خاتمة

الفهرس

الملحق

جدول عدد 1 : التمتع بدفتر معالجة

النسبة	التكرارات	التمتع بدفتر معالجة
% 51.11	23	نعم
% 48.88	22	لا
% 100	45	المجموع

جدول عدد 2: ظروف الأسرة

النسبة	التكرارات	ظروف الدار
% 31.11	14	صعبة
% 68.88	31	عايشين مستورين
% 100	45	المجموع

جدول عدد 3: درجة الرضا

النسبة	التكرارات	درجة الرضا
% 66.88	31	راضية
% 31.11	14	غير راضية
% 100	45	المجموع

دليل مقابلة حول الفتاة الريفية بمنطقة المخضومة من ولاية القيروان تاريخ اجراء المقابلة وعددها

ارشادات عامة

1. قداش عمرك
2. قداش عددكم في العائلة
3. شنوه ترتيبك في العائلة
4. قداش من بنية وقداش من وليد
5. داركم كراء وإلا ملك؟
6. اليو والأم حيين؟
7. بوك يخدم وإلا لا؟
8. شنوه يخدم؟
9. تعاونش الأم بوك في مصروف الدار؟
10. وإنت آش تعمل في حياتك؟
11. كيفاش تعدي نهارك؟
12. متزوجة وإلا لا؟
13. عندك كرني معالجة انت وأفراد عائلتك؟

المستوى التعليمي

1. وين وصلت في قرابتك؟
2. علاش ما كملتش؟
3. أشكون إلى بطلك من القرابه؟
4. عدد اللخوة إلى يقرأو؟
5. علاش ما كملوش قرابتهم؟
6. علاش انت بطلت القرابه وخواتك كملو القرابه؟
7. تحب ترجع تقرأ؟
8. شنوه حبيت توالي كان كملت قرابتك؟
9. تحس إلي انت ناقصة ثقافة على خاطر ما كملتش قرابتك؟

10. قداش ليك ملي قعدت في الدار؟
11. حسيتش بندم على خاطرک ما کملتش القرايه؟
12. حسب رايبک ثمة فرق بينک وبين إلي کملو قراو؟

العلاقة العائلية:

1. ترا فمه فرق في معاملة امک وبوک بينک وبين خواتک الاولاد؟
2. شنوه إلي يخليهم يفرقوا؟
3. كيفاش تأثر فيک ها التفرقة؟
4. تراش انک على خاطرک بنیه وللازمک تقعد في الدار وخوک هو إلي عندو الحق يخرج يقرأ ويخدم؟
5. في دارکم امک وبوک ياخذوا رايبک بعين اللاعتبار وإلد رايب خوک إلي ياخذوه؟
6. شكون يبجلوه اللول في المصروف انت وغللا خوک وإلد كيف كيف؟
7. حبيتش روحک تكون في بلاصة خوک؟
8. ترا روحک راضية على اللوضاع الي انت عايشه فيها؟
9. حسب رايبک شنوه اللولو التي تخرجک من اللوضعيه هذي؟

التكوين والتشغيل

1. بعد ما خرجت مل القرايه دخلتس تتعلم في صنعه؟
2. شنوه نوع الصنعة إلي تعلمتها؟
3. استفدتس بالخدمات غلي تقدمها الجمعيات التتموية (قروض، منح،..)
4. شنوه نوع المشروع الي استفدت بيه (فلاحي أو صناعات تقليدية أو مهن صغرى)
5. لقيت صعوبة باش توفقي بين الدار والصغار؟
6. عاونک زوجک باش تعملي المشروع؟
7. كيفاش تشوفي مشروعک ناجح وإلد فاشل؟

8. شنوه نوع المشاكل إلي اعترضتك؟
9. انت راضيه على عيشتك هذي؟
10. شنوه تطمحي للمستقبل؟

معلومات اقتصادية واجتماعية

1. كيفاش ترى ظروف داركم؟
2. انت راضيه ومتأقلمة مع ظروف عائلتك؟
3. حبيتي تعيشي في ظروف ما احسن؟
4. شكون يصرف في الدار؟
5. كان جاء عندك الفلوس شنوه تعمل بيها، تعاون داركم وإلا تعمل حاجة لروحك؟
6. شنوه الحاجات إلي ترا روحك عاجزة بش تحققها وانت ما عندكش مورد رزق؟
7. تراشي إلي الفلوس تخليك مستقلة على دراكم؟
8. تحب تكون عندك خدمة خاصة بيك؟
9. شنوه الخدمة الي ترا روحك تنجمها؟
10. تقبلشي تخدم بعيدة على داركم في صورة ما جاك عرض خدمة خارج المنطقة متاعك؟
11. بوك وامك يخلوك تخدم بعيدة عليهم؟



جميع الحقوق محفوظة
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر

العنوان : ص.ب 105 حي الخضراء - تونس
الجمهورية التونسية

الهاتف : + 216 71 790 511

الفاكس : + 216 71 780 002

www.cawtar.org

cawtar@cawtar.org - info@cawtar.org



<https://www.facebook.com/CenterofArabWomenforTrainingandResearch>



<https://www.youtube.com/channel/UCivSHG0eUfcb7yamv5pD3yw>



https://twitter.com/CAWTAR_NGO